يجب علينا أن نكون أحراراً في موتنا فنختار الموتة التي نرغب فيها فنعمل فيها روايتنا ونعد حفلة الوداع لأصدقائنا ونموت في كامل قوانا العقلية والجسمية لانه اذا كان قد فاتنا اختيار ميلادنا فلا ينبغي أن يفوتنا اختيار وفاتنا .

ولكنا لا ندري لماذا نرضى الموت ونحن بعد في كامل قوانا فالآلة لاتدخل طبقة « الخردة » الا لما يتعذر إصلاحها .

حفلة وفاء النيل

عند قدماء المصريين

يحتفل المصريون اليوم بوفاء النيل وتلك عادة ترجع الى عهد قدماء المصريين فقد كانوا يختارون له اجمل سيدة ويزوجونها منه بان يقيموا لها مهرجانا فخما ثم يلقوها فيه ولما دخلت المسيحية مصر خفت تلك العادة فلم يكونوا يلجأون اليها الا عند ما يشح ماء النيل ويتأخر فيضانه وسأصف الآن آخر حفلة عملت من ذلك النوع وقد كانت في السنة التي فتح فيها عمرو بن العاص مصر

كانت هذه السنة سنة كرب وبلاء وقد كانت في البلد حربان حرب دينية داخلية وحرب أخرى خارجية ففي الاولى روع « الشيت » اهل البلاد وهؤلاء وان كانوا مسيحيين غير ان لهم مذهباً غير مذهب قبط مصر فكانوا يفتكون بهم حتى ان ولدي المقوقس قتلا في تلك الحرب ، وفي الثانية اغار العرب على مصر وكثر دخول المصريين في الاسلام وهجرهم بلدهم القديمة « منفيس » الى البلدة الجديدة التي شرع في بنائها عمرو (الفسطاط)

وزاد في كرب المصريين تأخر الفيضان فكانت الترع جافة والحقول مقفرة حتى النخيل فقد أصابه مرض فكان ثمره يتساقط فارغا وحل « بمنفيس » وباء فكان الناس يموتون بالمئات كل يوم ، وقد هرع الناس الى دار النواب (السناتو) يشكون اليهم ولكن ماذا يعمل هؤلاء فقد أخذوا ينصحونهم بالهدوء والا ييأسوا من

رحمة الله وان يذهبوا ليتبلوا الى الله في الكنائس فما أجدت صلواتهم ولا خففت من بلواهم واشتد غضبهم فاخذوا يقذفون دار النواب بالحجارة وفي وسط ذلك ظهر رجل شيخ فأخرج من جيبه اوراقا من البردي واخذ يقرأ عليهم ما كان يصفه اجدادهم في مثل احوالهم فبدأ الناس وعزموا على اقامة حفلة عروس النيل

وفي اليوم الموعود لم يبق في « منفيس » شخص الا ذهب الى شاطئ النيل بأبهى ما عنده من ثياب وحلل عند معبد « نبتاح » على شاطئ النيل اقاموا حاجزاً خشبياً حيث جلس الاعيان والنواب وخصص مكان لاعضاء الكنيسة وان كانوا رفضوا الحضور وكان محط الانظار صندل في عرض النهر زين بالاعلام وسعف النخل والورد وازهار اللوتس البيضاء ومن هذا الصندل تلقى عروس النيل

وعند الضحى بدأت الطبول تدق وأنشأت الموسيقى تصدح وأخذ المغنون يرتلون أناشيد الزواج والناس كلهم آذان وعيون صاغية وأخذ الموكب يتحرك وفي طليعته الطبالون راكبين خيولاً مطهمة ومن بعدهم فريق من المغنيات وفريق آخر من المغنين لابسين جلاليب لازوردية اللون محلاة بأزهار اللوتس وكان شعر النساء يتموج على أكتافهن أما الرجال فكانوا يحملون في أيديهم حزماً من البردي وهؤلاء يمثلون آلهة النهر

وخلف هؤلاء أولاد ورجال يلبسون جلاليب بيضاء وعلى أكتافهم جلود النمر وفي مقدمتهم رجلان عجوزان أحدهما يحمل كأساً فضية والآخر كأساً ذهبية ليقدماها للنيل وأخذ كل من هؤلاء مكانه في آخر الصندل وخلف هؤلاء عدد من الموسيقيين بآلاتهم ومائة من الرجال والنساء كل يحمل رمزاً لأحد المعبودات ويتلو هؤلاء عدد من الفيلة والغزلان والنعام وعدد من السباع والثعور المستأنسة التي كانت تستخدم في هذه الحفلة كما كانت تستخدم في حفلة استقبال بطليموس الثاني

ثم جاءت مركبة يجرها إثنا عشر جواداً أسود وهي محاطة باطفال سود يحملون أجنحة على أكتافهم وقروناً على جباههم وهؤلاء يمثلون الجحيم والمرض والقحط .

ثم مركبة أخرى تحمل آلهة الفيضان وقد جلست وسط الازهار والفاكهة وحولها أطفال بأيديهم التفاح والرمان وسنابل القمح وقوارير ملأى بنبيذ العنب.

ثم ظهرت بعد ذلك آلهة الصحة كلها خارجة من حمام وكان يجر مركبها ثمانية من الخيول البيضاء.

وبعد ذلك كله جاء اله النيل في شكل رجل ضخم المنظر طويل اللحية متكئ على جرة وعلى رأسه طاقة من زهر اللوتس ومن حوله ستة عشر طفلاً وقد زينت هذه المركبة بصور كل ما يعيش على ضفتي هذا النهر وما فيه من نبات وحيوان

ثم المركبة الكبرى مركبة عروس النيل وعليها مظلة تحجب أشعة الشمس وهي مزينة بأبهى الزينات من ذهب وفضة وأحجار كريمة وأزهار وكانت العروس تلبس لباساً أبيض وشعرها الفاحم يتموج فوق أكتافها وبجانبها قسيس يتحدث اليها فقوبلت المركبة بالتصفيق الحاد والهتاف ثم تقدم شيخ كبير فأخذ بيد العروس وقادها الى الصندل في وسط البحر

وفيما هم كذلك جاء القاضي عثمان يحمل رسالة من الخليفة عمر الى النيل وبها ما يأتي :

الى نهر مصر

اذا كنت أيها النهر تفيض من نفسك فانا لا نريد فيضانك وأما اذا كنت تفيض بأمر الله فانا ندعو الله الرحيم أن يأمرك بأن تفيض

ثم ألقوا بهذه الرسالة في اليم فلم تمض بضعة أيام حتى جاءت حمامة من حمام الزاجل تحمل رسالة من الشلالات بارتفاع النيل هناك فجأة

ومن ذلك اليوم أبطلت هذه العادة وتطورت بشكلها الحالي

محمد كامل فراج
بمدرسة المعلمين العليا